

عُرف بالحلم والأناة ولين الجانب والرفق

أبو بكر السبّاق في فعل الخيرات ومكارم الأخلاق

حتى عُرف بالحلم والأناة، ولين الجانب والرفق، وهذا لا يعني أن أبا بكر لم يكن بغضب، وإنما كان غضبه لله تعالى، فإذا رأى محارم الله قد انتهكت غضب لذلك غضبا شديدا.

لقد عاش بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مثاملا ومتفكرا» وعابلا بقوله تعالى: «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين».

بلى أحب أن يغفر الله لي

كان أبو بكر يغول مسلط بن أئاته، فلما قال في عائشة -رضي الله عنها- ما قال (حديث الألف المشهور) أقسم بالله أبو بكر ألا ينفعه أبدا، فلما أنزل الله -عز وجل-: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ولينفقوا وليصنفوا إلا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» [التور: 22] قال أبو بكر: والله أني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

ولقد فهم الصديق من الآية أن على المؤمن التخلق بأخلاق الله، فيعفو عن الهفوات والزلات والزلز، فإن فعل فآله يعفو عنه ويسترد ذنوبه، وكما تدبّر تدبّر، والله سبحانه قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟ اي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك المغفروا لمن ذنوبكم. وكما أن في الآية من حلف على شيء ألا يفعله، فرأى أن فعله أولى من تركه، آتاه وكفر عن يمينه، وقال بعض العلماء: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى؛ من حيث لطف الله بالذقة العصاة بهذا اللفظ.

لقد دلت هذه الآية على أن أبا بكر أفضل الناس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن الله وصفه بصفات عجيبة في هذه الآية، دلت على علو شأنه في الدين، أورد الرازي في تفسيره أربع عشرة صفة مستنبطة من هذه الآية: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة» منها: أنه وصفه بأنه صاحب الفضل على الإطلاق من غير تقييد لذلك بشخص دون شخص، والفضل يدخل فيه الإفضال، وذلك يدخل على أنه كان فاضلا على الإطلاق، وكان مفضلا على الإطلاق، ومنها أنه لما وصفه تعالى بأنه «أولو الفضل والسعة» بالجمع لا بالواحد وبالعجوم لا بالخصوص على سبيل المدح، وجب أن يقال: أنه كان خالبا عن العصية؛ لأن المنود إلى هذا الحد لا يكون من أهل النار.

اتصف الصديق بالأخلاق الحميدة، والصفات الرفيعة ومسابقتها في الخيرات حتى صار في الخير قدوة، وفي مكارم الأخلاق أسوة، وكان حريصا أشد الحرص على الخيرات، فقد أبى أن ما يمكن أن يقوم به لمرء اليوم قد يكون غير ممكن في الغد، فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل، ولذلك كان من المسارعين في الخيرات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من أصبح منكم اليوم صائما؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكنا؟» قال أبو بكر: آنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضا؟» قال أبو بكر: آنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

كظمه للغيظ

قال أبو هريرة: إن رجلا شتم أبا بكر ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يعجب ويبتسم، فلما أكثر الرجل رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقام، فلفظه أبو بكر وقال: يا رسول الله، كان يستمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله غضبت وقلت: فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان»، فلم أكن لأفعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمنقلبة فيغضي عنها له -عز وجل- إلا أعز الله بها زاده، وما فتح رجل باب عليه يريد بها صلة إلا أزاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا أزاده الله بها قوة»، أن الصديق رضي الله عنه اتصف بكظم الغيظ ولكنه رد ما قلن الله به بسكت هذا الرجل، فرغبه النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحلم والأناة، وأرشدته إلى ضرورة تحليه بالصبر في مواطن الغيظ، فإن الحلم وكظم الغيظ مما يزيد المرء ويجمله في أعين الناس، ويرفع قدره عند الله تعالى.

ويبين لنا ذلك من هذا الموقف حرص الصديق على عدم الغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- للمساورة إلى إرضائه، وفي دم الغضب للنفس، والتنبه عنه والتحذير منه، واعتزال الأنبياء المجالس التي يحضرها الشيطان، وبيان الفضل للمظلوم الصابر المحتسب لأجره والثواب، وقبه حث على العطايا، وصلة الأرحام، ودم للمسالة وأهلها.

وظل الصديق متمسكا بالحلم وكظم الغيظ

■ كان صبر يوسف

عن مطاوعة امرأة

العزیز أکمل

من صبره على

إلقاء إخوته له

في الحب وبيعه

لأنها أمور جرت

بغير اختياره

■ كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز أکمل من صبره على إلقاء إخوته له في الحب وبيعه لأنها أمور جرت بغير اختياره

باطلا، «من أم الناس قليخفف فإن فيهم الضعيف...» الحديث. وكان الصحابة رضوان الله عليهم الذين كان يؤمهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المغرب أحيانا بالأعراف والصفات، والذين أهم أبو بكر الصديق مرة بالبرقة كلها في صلاة الصبح، والذين كثيرا ما كان يؤمهم عمر في الصبح بيوسف، وهو، والتحل، ليس فيهم مريض ولا ضعيف؟ وتدريب الرسول صلى الله عليه وسلم على معال رضي الله عنه لأنه كان يصلي معه العشاء ثم يذهب ليؤم قومه بعد ذلك، وقد أهم يوما بالبرقة في الركعة الأولى من العشاء، وبالتفص في الثانية، وعندما خرج أعرابي من صلاته، ثال منه معاذ بأنه منافق! ومن أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال.

أين هذا كله مما عليه الأمة الآن؟! ففتبّر إن احتجاج البعض بهذا الحديث ليس في موضع النزاع، فمن فعل كما فعل معاذ يكون فتنّا حقا، ولكن من من الأمة الآن يستطيع أن يفعل ذلك ولو كان قذا؟!

عجب من هؤلاء جميعا من يحيي لبنة بالرخص، والتواجد، والضرب بالأفامد على الأرض، فإذا حان وقت صلاة الصبح تفرق جهم، ومن يلي ضلّي يهيم بقصار الفضل من غير اطمئنان ولا خشوع.

لقد صاغ العلامة ابن القيم رحمه الله حال هذه الطائفة الصوفية - التي أسست على الكسل كما قال الشافعي، شعرا، حيث ذكر جهدهم واجتهادهم عند السماع، والرخص، والتواجد، الذي هو دين عباد العجل، عندما اتخذ لهم السامري عجلا جسدا له خوار، فقاموا حواله يرفصون ويتواجدون حتى يقع أحدهم مغشيا عليه، فالرخص، والتواجد، والسماع الصوفي ليس من الفكر الذي شرعه الله لعباده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان هو وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير من الوار والتسكينة، فلما لنا له يصودهم عن سماع آيات القرآن والعلم.

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يذكرون الله وكأنما على رؤوسهم الطير

الصبر على الطاعة من أفضل أعمال البر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أعطى أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر

الصبر

رواه مسلم

إليه وأكثره من مفسدة وجود المعصية).

وما قاله شيخ الإسلام هو الحق، فقد قرن الله بين الصبر والإيمان والعمل، حيث قال في سورة العنصر: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»، ولهذا قال الشافعي -رحمه الله-: لو لم ينزل من القرآن إلا هذه السورة لكانت كافية وحجة على الأمة.

والدليل على ذلك أن كثيرا من الخلق يسهل عليهم الصبر على المصائب والبلايا وعن المعاصي، ولكن قليل منهم من يصبر على طاعة الله عز وجل. بل من الناس من يصبر على المعاصي ويحتمل من أجلها ما لا يحتمل معشار معشاره على طاعة الله عز وجل.

قال المزني رحمه الله: سمعت الشافعي -رحمه الله- يقول: رأيت بالمدينة المنورة أربع عجائب، رأيت جدّة بنت إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلا فسه القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخا قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره لجمع حافيا رجلا على الليثات يلعنهن الغناء، فإذا أتى الصلاة صلى قاعدا، ونسيت الرابعة.

وشاهدنا في قومه: «ورأيت شيخا قد أتى عليه تسعون...» إلخ.

وما تعجب منه الشافعي، وحق له أن يعد ذلك من العجائب، مُشاهد، فإنك تجد البائع وفقا في سوقه من الصباح إلى المساء لا يفتقر ولا يفتد، وكذلك مشجع الكرة يقف على رجل واحدة ويصيح يملء فيه ويدخل للملعب قبل ثلاث ساعات من موعد المباراة، وتجد الفنان يقيم الحلقة إلى مشارف الصبح، والمصلي يخرج من المسجد يبق يتكلم في أمور الدنيا الساعة والساعة، وغيرهم كثير، فإذا استقرت الصلاة أربع ساعة، أو اطمأن الإمام في ركوعه وسجوده قليلا، قامت الدنيا ولم تقعد، وتضجر الناس، واشتكوا، ومنهم من يشكو الإمام إلى المسؤولين وإلى لجنة المسجد، ويرفع في وجه الإمام كلمة الحق التي يريدون بها

قال الشافعي: «رأيت شيخا قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره لجمع حافيا رجلا على الليثات يلعنهن الغناء، فإذا أتى نصفه صبر والنصف الآخر لشكر، وقد ذكر الصبر في القرآن في تسعين موضعا في موطن المدح والنذاء والأمر به، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو أنواع:

1. الصبر على طاعة الله، وهو الفضلها،
2. الصبر عن معصية الله عن وجل، وهو يلي النوع الأول في الفضل.

3. الصبر على امتحان الله عز وجل.

قال ابن القيم رحمه الله: «فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه».

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها اكل من صبره على إلقاء إخوته له في الحب، وبيعه، وتقريبهم بيته وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختيار، ولا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، أما صبره عن المعصية، قصير الاختيار ورضا، وحاربة النفس، ولا ينميا مع الأسباب التي تقوى معها ذواعي الموافقة، فإنه كان شابا، وداعية الشياطين إليها قوية، وعزبا ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريبا والغريب لا يستحي في بلد غريبته مما يستحي منه من بين أصحابه ومعارفه وأهله، ويمتلكو والملوك أيضا ليس له وزع كوزاع الحر، والمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سيدته، وقد غاب الرقيب، وهي الداعية له إلى نفسها، والجريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارا وإبنارا لما عند الله، وأين هذا من صبره في الحب على ما ليس من كسبه؟!

وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات اكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك للمعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض

نزلت في جذر قلوب الرجال قبل هبوط الوحي بكتاب الله

الأمانة.. ضمير حي إلى جانب فهم صحيح للقرآن والسنة

الإاماة التي تدعو إلى رعاية الحقوق، وتصمم عن الدنيا، لا تكون بهذه المثابة إلا إذا استقرت في وجدان المرء، ورست في أعماله، وهيمت على الداعي والقاصي من مشاعره، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فلعلموا من القرآن وعلموا من السنة، والعلم بالشريعة لا يغني عن العمل بها، والأمانة ضمير حي إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة.

وإذا مات الضمير انتزعت الأمانة، فما يغني عن المرء ترديد لأليات، ولا دراسة للنسب، وأدعاء الإسلام يزعمون للناس وقد يزعمون لأنفسهم أنهم أماناء، ولكن هيهات أن تستقر الأمانة في قلب تنكر للحق ومن ثم يستطرد حذيفة في وصفه، لتسرب الأمانة من القلوب التي تتخلف فيها البين، فيروي عن الرسول: «ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينأى الرجل التومة فتنتقض الأمانة من قلبه فيقتل، فيقتل أثرها مثل أثر لجل كالتيور التي تظهر في اليد مثلا في استخدام الأدوات الخشنة ثم قال: فيصبح الناس يتبايعون، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة؛ حتى يُقال: «إن في بني فلان رجلا أميناً، وحتى يُقال للرجل: ما أجده ما أقره ما أعقله وما في قلبه من الحجة من خذل من أمانة»، والحديث يصور انتزاع الأمانة من القلوب الخائنة تصويرا مخرجاً فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرها لئلا لأعنا، بيد أنها لا تحيي ضميرا مات،

وأصبح صاحبه يزن الناس على أساس أثرته وشهوته، غير مكتر بذكر أو إيمان؟! إن الأمانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهزأيل، وقد ضرب الله المثل لضخامتها، فأبان أنها ثقيل كاهل الوجود فلا يتغنى للانسان أن يستهين بها، أو يفرط في حقها. قال الله تعالى: «اتاعرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا»، والظلم والجهل أفتان عرضتا للفطرة الأولى، وغنى الإنسان جهادهما، فلن يخلص له إيمان، إلا إذا نقاه من الظلم: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» ولن تخلص له تقوى إلا إذا نقاهما من

الجهالة: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»، ولذلك يعد أن تقرا الآية التي حملت الإنسان الأمانة تجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل، خأنوا وناقلوا وأشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكن السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة: «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان هؤلاء رحيما».

الوفاء إذا أكرم المسلم عقدا فجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدا فجب أن يلتزمه وعن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي إلهاء عن شغلاته: فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطع في

قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف ووطئته بالرمح ورمية بسهم، ووجدناه وقد مثل به المشركون، فما عرفه إلا أخته، بشاعة فيه، أو بيتانه.. قال أنس: كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا».



تزكية الأزواج بالتدبر والتأمل وأداء العبادات

البناء التعبدى والأخلاقي في العهد المكي

قال: الرحمن الرحيم: قال الله تعالى: «التي على عيدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: قال: مجدي عدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: عدي، ما بيني وبين عيدي ولعدي ما سأل، فإذا قال: أعبد الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال: هذا لعدي ولعدي ما سأل».

طمانينة النفس وراحتها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، وقد جعلت فرة عينه في الصلاة، وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة كثيرا من السنن والنوافل ليزدادوا صلة بربهم، وتأمين بها نفوسهم، وتصبح الصلاة سلاحا مهما لحل همومهم ومشاكلهم.

الصلاة حاجز عن المعاصي: قال تعالى: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكّر الله أكبر والله عليم بما تصنعون».

كان الصحابة رضي الله عنهم عندما يؤدون صلاتهم تتخرب بها نفوسهم، وتمدهم بقوة دافعة لفعل الخير والابتعاد عن المنكر، فكانت لهم سباجا ميثقا حماهم من الوقوع في المعاصي.

في الإسلام، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لا تقوم بالتكاليف الشرعية الملقاة عليها، والعبادة والمداومة عليها تعطي الروح قوفا وقوفا وإذا ودغنا قوفا إلى الغياهم بما تؤمر به.

إن الصلاة تأتي في مقدمة العبادات التي لها أثر عظيم في تزكية روح المسلم، ولعل من أبرز أنارها التي أصابت الرعيل الأول.

الاستجابة لأمر الله تعالى وإظهار العبودية له سبحانه: وقد ألقى الله تعالى على عبادہ المؤمنين الذين استجابوا لأمره، فقال عز وجل: «الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وآزره شؤرى بينهم وتمّا زرفانهم ينفقون» [الشورى: 38].

وكان الرعيل الأول يرى أن لكل عمل من أعمال الصلاة عبودية خاصة وتأثيرا في النفس وتزكية للروح.

متابعة العبد ربه: وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا من مشاهد هذه المناجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عيدي نصفين، ولعدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبيدي، وإذا

تزكية أرواح الرعيل الأول بانواع العبادات: رزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم وأرشدهم إلى الطريق التي تساعد على تحقيق ذلك المطلب من خلال القرآن الكريم ومن أمهات:

التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى.
التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون، بل ما في عالم الغيب والشهادة.
عبادة الله عز وجل، من أعظم الوسائل لتربية الروح وإجلها فدرا، إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه ولا يستحقها إلا الله وحده.

العبادات التي تسمو بالروح وتتهر النفس نوعان:
النوع الأول: العبادات المفروضة كالصلاة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج وغيرها.
النوع الثاني: العبادات بمعناها الواسع، ويشمل كل شيء يتنوّى به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يلاب صاحبها، وقربى روحه تربية حسنة.

إن تزكية الروح بالصلاة وتلاوة القرآن، وذكر الله تعالى، والتسبيح له سبحانه أمر مهم